

نحو وعي اسلامي

من غُصَّار حَرَاءٍ

بقلم

السيد أبي الحسن علي الحسني الندوبي

وكيل ندوة العلماء بالهند

وعضو الجمع اللغوي بدمشق

> <

الناشر

مكتبة المنار بالكويت

ص.ب ٦٣٣

- ١ -

هذه مقالة قيمة نشرتها مجلة «البعث الاسلامي»
في عددها السابع من السنة التاسعة للاستاذ الكبير
الداعية الاسلامي السيد أبي الحسن علي الحسني
الندوبي وكيل ندوة العلماء في الهند وعضو المجمع
اللغوي بدمشق .

واستاذنا العلامة الندوبي أشهر من ان يعرف حيث
لا يخلو بلد اسلامي من تلامذته ومربييه وعارضي
فضله وقد تجول في جميع البلاد العربية ومعظم
البلدان الاسلامية والقى مئات الدروس والمحاضرات
في الاندية والمساجد والجامعات والمدارس وتداول
شباب الاسلام في كل مكان رسائله ومؤلفاته وعكفوا
على دراستها كما سعدوا بالتزود من روحانيته
الفياضة وصوفيته النقية لانه مثال نادر من أمثلة
الدعاة الى الله في هذا العصر وذلك بفضل ما يتميز به
من عمق في الفهم ونقاوة في القلب وعدوبية في الحديث
وبساطة في المظهر وحسن في الخلق واخلاص في العمل
وتفان عجيب في الدعوة للإسلام حيث يبذل كل

وقته وجهه في سبيل العمل الإسلامي لا في المند
وحدها بل في كل بقعة إسلامية وهو لا يقتصر على
ميدان واحد بل يسهم في جميع الميادين .

ويشه العلامة الندوى المرحوم الشهيد حسن البنا
في كثير من صفاتة خصوصا طاقته الروحية وقدرته
العجبية في التأثير على سامعيه .

والمقالة التي نقدمها للقراء الكرام بعنوان (من غار
حراء) يروى لنا فيها العلامة الندوى الحديث
الذي دار بينه وبين نفسه حين استعرض السدور
العظيم الذي غير مجرى التاريخ ونقل الإنسانية من
حالة الفلال إلى الهدى ومن الفوضى إلى الاستقرار
حيث كان « غار حراء » المكان المختار من الله عز
وجل لبدء ابلاغ رسالة الإسلام على يد رسوله محمد
صلى الله عليه وسلم ففتح برسالته جميع أقفال
الإنسانية وابوابها بمفتاح الإيمان بالله والرسول
واليوم الآخر فعم الخير والسعادة ارجاء المعمورة
كلها .

ثم كيف ان العصر الذي نعيش فيه عادت اليه
الاقدال القديمة نفسها ولكن باللون جديدة حتى
تعقدت الحياة والتوت وتطورت المسائل وتنوعت
واصبح الفرد لا يؤمن الا بالملادة والقوة ولا يعني الا
بذاته وشهواته وانقطعت الصلة بينه وبين ربه ورسالة
الايات وعقيدة الآخرة ، فكان هذا الفرد هو مصدر
الشقاء لهذه المدينة .

ولن يفتح مغاليق الإنسانية واقفالها إلا المفتاح
القديم وهو الإسلام لأن الأقدال هي نفس الأقدال
السابقة وإن تغير لونها والإسلام هو المفتاح الذي
فتحها من قبل وسيفتحها من بعد (والله غالب على
أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمنون) .
والله أكبر والله الحمد

الناشر

من غار حراء

- ٤ -

طلعت جبل النور ووقفت على غار حراء وقلت لنفسي ، هنا أكرم الله بالرسالة محمدًا صلى الله عليه وسلم ونزل عليه الوحي الأول ، فسن هنا طلعت الشمس التي أفاضت على العالم نوراً جديداً وحياة جديدة ، إن العالم ليستقبل كل يوم صباحاً جديداً وحياة جديدة ، إن للعالم صباحاً لا جد فيه ولا طرافة ، ولا خير فيه ولا سعادة وما أكثر ما استقبل العالم صباحاً استيقظ فيه الإنسان ولم تستيقظ فيه الإنسانية ، واستيقظت فيه الأجسام ولم تستيقظ فيه القلوب والآرواح ، وما أكثر النهار المظلم والصبح الكاذب في تاريخ العالم ولكن من هنا طلع الصبح الصادق الذي أشرق نوره على كل شيء واستيقظ فيه الكون وتغير مجرى التاريخ .

لقد كانت الحياة كلها اقتلاعاً معقدة وابواباً مغلقة ، كان العقل مغلقاً أميناً فتحه الحكماء وال فلاسفة ، كان الضمير مغلقاً أميناً فتحه الوعاظ والمرشدين ، كانت

القلوب مغلقة أميناً فتحها الحوادث والآيات ، كانت الموهاب مغلقة أميناً فتحها التعليم والتربية والمجتمع والبيئة ، كانت المدرسة مغلقة أميناً فتحها العلماء والمعلمين ، كانت المحكمة مغلقة أميناً فتحها المتظليين والمحاكمين ، كانت الأسرة مغلقة أميناً فتحها المصلحين والمفكرين ، كان قصر الامارة مغلقاً أميناً فتحه الشعب المظلوم والفالح المجهود والعامل المنهوك ، وكانت كنوز الاغنياء والأمراء مغلقة أميناً فتحها جوع الفقراء وعرى النساء وعويل الرضعاء ، لقد حاول المصلحون الكبار والمتشرعون العظام فتح قفل من هذه الأقفال ففشلوا وأخفقوا ، فإن القفل لا يفتح بغير مفتاحه وقد ضيعوا الفتاح من قرون كثيرة وجربوا مفاتيح من صناعتهم ومعادنهم فإذا هي لا تتوافق الأقفال وإذا هي لا تغنى عنهم شيئاً ، وحاول بعضهم كسر هذه الأقفال فجرحوا أيديهم وكسرموا آلتهم .

في هذا المكان المتواضع ، المنقطع عن العالم التمدن ، على جبل ليس بمحسب ولا بشامخ تم ما لم

يتم في عواصم العالم الكبيرة ومدارسه الفخمة ومكتباته الضخمة ، هنا من الله على العالم برسالة مسجد صلى الله عليه وسلم وفي رسالته عاد هذا المفتاح المفقود إلى الإنسانية ، ذلك المفتاح هو (الإisan بالله والرسول واليوم الآخر) ففتح به هذه الأقفال المقدمة قفلاً قفلاً ، وفتح به هذه الأبواب المقفلة بباباً بباباً ، وضع هذا المفتاح النبوى على العقل الملتوى ففتح ونشط واستطاع أن يتسع بأيات في الأفق والأنفس ويتوصل من العالم إلى فاطره ومن الكثرة إلى الوحدة ، ويعزف شناعة الشرك والوثنية والخرافات والأوهام وكان قبل ذلك محامياً مأجوراً يدافع عن كل قضية حقاً وباطلاً ، وضع هذا المفتاح على الضمير الإنساني النائم فاتبه وعلى الشعور الميت فاتعش وعاش وتحولت النفس الامارة بالسوء مطمئنة لا تسيغ الباطل ولا تحمل الاثم حتى يعترف الجاني أمام الرسول بجرimته ويقع على العقاب الاليم شديد ، وترجع المرأة المذنبة إلى البادية حيث لا

رقابة عليها ثم تحضر المدينة وتعرض نفسها للعقوبة التي هي أشد من القتل ، ويحمل الجندي الفقير تاج كسرى ويخفيه في لباسه ليستر صلاحه وأمامته عن أعين الناس ويدفعه إلى الأمير لأنه مال الله الذي لا يجوز الخيانة فيه ، كانت القلوب مقفلة لا تعتبر ولا تزدجر ولا ترق ولا تلين فأصبحت خائفة واعية تعتبر بالحوادث وتستفم بالآيات وترق المظلوم وتحنو على الضعيف ، وضع هذا المفتاح على القوى المخوقة والمواهب الضائعة فاشتعلت كاللهيب وتدفقت كالسيل واتجهت الاتجاه الصحيح ، فكان راعي الأبل راعي الأمة وخليفة يحكم العالم وأصبح فارس قبيلة وبلد قاهر الدول وفاتح الشعوب العريقة في القوة والمجد . وضع المفتاح على المدرسة المقفلة وقد هجرها المتعلمون وزهد فيها المتعلمون وسقطت قيمة العلم وهان العلم فذكر من شرف العلم وفضل العالم والمتعلم والمربى والعلم ، وقرن الدين بالعلم حتى كانت له دولة ونفاق واصبح كل مسجد وكل بيت من بيوت المسلمين

مدرسة وأصبح كل مسلم متعملا لنفسه معلما لغيره ووجد اكبر دافع الى طلب العلم وهو الدين ، وضعه على المحكمة المقلة فاصبح كل عالم قاضيا عادلا وكل حاكم مسلم حكما مقسطا ، وأصبح المسلمين قوامين لله شهداء بالقسط ، ووجد الایمان بالله ويوم الدين فكثر العدل وقل الجدل ، وفقدت شهادة الزور والحكم بالجور ، وضعه على الاسرة المقلة وقد فشا فيها التطفيف بين الوالد وولده ، والاخ واحلوته ، والرجل وزوجته ، وتعدى من الاسرة الى المجتمع ظهر بين السيد وخادمه والرئيس المؤسس والكبير والصغير ، كل يزيد ان يأخذ ماله ولا يدفع ما عليه ، وأصبحوا مطهفين اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم او وزنوه يخسرون ، فغرس في الاسرة الایمان وحذرها من عقاب الله وقرأ عليها قول الله (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها وبث منها رجالا كثيرا ونساء ، واتقوا الله الذي تساءلون

به والارحام ، ان الله كان عليكم رقيبا) وقسم المسؤولية على الاسرة والمجتمع كله فقال (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته) وهكذا وجد اسرة عادلة متحابة مستقيمة ومجتمعا عادلا ، وأوجد في اعضائه شعورا عميقا بالامانة وخوفا شديدا من الاخرة حتى تورع الامراء وولاة الامور وتقشفوا وأصبح سيد القوم خادمهم ووالى الامة كولي اليتيم ان استغنى استعن وان افتقر أكل بالمعروف ، وأقبل الى الاغنياء والتجار فرهدهم في الدنيا ورغبهم في الآخرة وأضاف الاموال الى الله فقرأ (وأنبغوا مما جعلكم مستخلفين فيه) وقرأ ، (وآتوهم من مال الله الذي آتاكم) وحدزرم من اكتناز وادخار الاموال وعدم الانفاق في سبيل الله ، فقرأ عليهم (والذين يكتنزن الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم ، يوم يحسي عليها في نار جهنم فتكوى بها جماهم وجنوبيهم وظهوبرهم هذا ما كتزنتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكتنزون)

- ١٠ -

أبرز رسول الله صلى الله عليه وسلم برسالته ودعوته الفرد الصالح المؤمن بالله الخائف من عقاب الله الخاشع الأمين المؤثر للآخرة على الدنيا المستهين بالمادة المغلب عليها بايمانه وقوته الروحية يؤمن بأن الدنيا خلقت له وأنه خلق للآخرة ، فإذا كان هذا الفرد تاجر فهو التاجر الصدوق الأمين وإذا كان فقيرا فهو الرجل الشريف الكادح ، وإذا كان عاملا فهو العامل المجتهد الناصح ، وإذا كان غنيا فهو الغني السخي المواسي ، وإذا كان قاضيا فهو القاضي العادل الفهم ، وإذا كان واليا فهو الوالي المخلص الأمين ، وإذا كان سيدا رئسا فهو الرئيس المتواضع الرحيم ، وإذا كان خادما أو أجيرا فهو الرجل القوي الأمين ، وإذا كان أمينا للأموال العامة فهو الخازن الحفيظ العليم ، وعلى هذه اللبنات قام المجتمع الإسلامي وتأسست الحكومة الإسلامية في دورها ، ولم يكن المجتمع والحكومة بطبيعة الحال الا صورة مكبرة لأخلاق الأفراد وتقسيتهم ، فكان المجتمع مجتمعا صالحا أمينا مؤثرا للآخرة على الدنيا متغلبا على

- ١١ -

المادة غير محكوم لها ، اتقلل الي صدق التاجر وأمامته وتعفف الفقير وكده ، واجتهد العامل ونصحه ، وسخاوة الغني ومواساته ، وعدل القاضي وحكمته ، واخلاص الوالي وأمامته ، وتواضع الرئيس ورحمته ، وقوة الخادم وحراسة الخازن ، وكانت هذه الحكومة حكومة راشدة مؤثرة للنبي ، على المنافع ، والهداية على الجماعة ، وبتأثير هذا المجتمع وبنفوذ هذه الحكومة وجدت حياة عامة ، كلها ايسان وعمل صالح وصدق واخلاص وجد واجتهد وعدل في الاخذ والعطاء وانصف النفس مع الغير .

وقد ذهلت في حديثي لنفسي ، وتبثلت الى الجماعات الاسلامية الاولى بجمالها وتفاصيلها كأنني أشاهدها وانتنفس في جوها وانقطعت الصلة بيني وبين العالم المعاصر .

وحانت مني التفاتة الى هذا العصر الذي نعيش فيه فقلت اني لا راي اقفالا جديدة على ابواب الحياة

الإنسانية وقد قطعت الحياة مراحل طويلة وخطت خطوات واسعة وتعقدت الحياة والتوت وتطورت المسائل وتنوعت ، وتساءلت هل يمكن فتح هذه الأقفال الجديدة بذلك المفتاح العتيق ؟ وأيّت أن أحكم بشيء ، هل اختبر هذه الأقفال وأضع عليها المفتاح ولست هذه الأقفال بالبيان فإذا هي الأقفال القديمة بتلوين جديد ، وإذا المشاكل نفس مشاكل العصر القديم وإذا المشكلة الكبرى وأساس الازمة هو الفرد الذي لا يزال لبنة المجتمع وأساس الحكومة ، ووجدت أن هذا الفرد قد أصبح اليوم لا يؤمن إلا بالمال والقوة ولا يعني إلا بذاته وشهوته وأنه يبالغ في تقدير هذه الحياة ويسرف في عبادة الذات وارضاء الشهوات ، وقد انقطعت الصلة بينه وبين ربه ورسالة الانبياء وعقيدة الآخرة ، فكان هذا الفرد هو مصدر شقاء هذه المدينة ، فإذا كان تاجر فهو التاجر المحتكر النهم الذي يحجب السلع أيام رخصها وييرزها عند غلائها ويسبب المجاعات

والازمات ، وإذا كان فقيرا فهو الفقير التاجر الذي يريد أن يتغلب على جهود الآخرين بغير تعب ، وإذا كان عاملا فهو العامل المطفف الذي يريد أن يأخذ ماله ولا يدفع ما عليه ، وإذا كان غنيا فهو الغني الشحيح القاسي الذي لا رحمة فيه ولا عطف ، وإذا كان واليا فهو الوالي الناشر الناشر للاموال ، وإذا كان سيدا فهو الرجل المستبد المستثثر الذي لا يرى إلا إلى فائدته وراحتته ، وإذا كان خادما فهو الضعيف الخائن ، وإذا كان خازنا فهو السارق المختلس للاموال ، وإذا كان وزير دولة أو رئيس وزارة أو رئيس جمهورية فهما المادي المستثثر الذي لا يخدم إلا نفسه وحزبه ولا يعرف غيره ، وإذا كان زعيما أو قائدا فهو الوطني أو الجنسي الذي يقدس وطنه ويعبد عنصره ويدوس كرامة البلاد الأخرى والشعوب الأخرى ، وإذا كان مشرعا فهو الذي يسن القوانين الجائرة والضرائب الفادحة ، وإذا كان مخترعا اخترع المدمرات والناسفات ، وإذا كان مكتشفا اكتشف الغازات

الميادة للشعوب المخربة للبلاد والقبيلة الذرية تهلك
الحرث والنسل ، واذا كان فيه قوة التطبيق والتنفيذ
لم ير بأسا بالقاء هذه القنابل على الامم والبلاد .
وبهؤلاء الافراد تكون المجتمع وتأسست الحكومة
فكان مجتمعنا ماديا اجتمع فيه احتكار التاجر وثورة
الفقير وتطفيق العامل وشح الغني وغض الشوالي
واستبداد السيد وخيانة الخادم وسرقة الخازن ونفعية
الوزراء ووطنية الزعماء واجحاف المشرع واسراف
المخترع والمكتشف وقصوة المنفذ ، وبهذه الفسادات
المادية تولدت أزمات طريفة ومشاكل معقدة ، تشكوا
منها الانسانية بثها وحزنها ، كالسوق السوداء وفساد
الرشوة والغلاء الفاحش واحتفاء الاشياء والتضخم
الن כדי ، وأصبح المفكرون والمشروعون لا يجدون
حل لهذه المشاكل واصبحوا اذا خرجوا من ازمة
واجهوا ازمة أخرى، بل ان حلولهم القاصرة ومعالجتهم
الموقته هي التي تسبب ازمات جديدة ، وتنقلوا من
حكومة شخصية الى ديمقراطية الى دكتاتورية ثم

الى ديسقراطية ، ومن نظام رأسالي الى نظام اشتراكي
الى شيوعي ، واذا الوضع لا يتغير لان الفرد الذي
هو الاساس لا يتغير ، ويجهلون أو يتجاهلون في كل
ذلك أن الفرد هو الفاسد المعوج ، ولو عرفوا ان
الفرد هو الاساس وانه فاسد معوج لما استطاعوا
اصلاحه وتقويته لأنهم على كثرة مؤسساتهم العلية
ودور التعليم والتربية والنشر لا يسلكون ما يصلحون
به الفرد ويقومون اعوجاجه ويجعلون اتجاهه من
الشر الى الخير ومن الهدم الى البناء لأنهم أفلسو في
الروح وتخلوا عن الانسان وفقدوا كل ما يغذى القلب
ويغرس الانسان ويعيد الصلة بين العبد وربه وبين
هذه الحياة والحياة الأخرى وبين المادة والروح وبين
العلم والأخلاق ، وفي الاخير أدى بهم افلاتهم
الروحي وماديهم العبياء واستكبارهم الى استعمال
آخر ما عندهم من الآلات التدمير التي تبيد شعباً بأسره
وتخرّب قطراً بطوله حتى استهدفت الحضارة والحياة

١٦ -

البشرية اذا تبادلت الدول المتحاربة استعمال هذه
الاالت للنهاية الالية .